" المؤتمر الدولي الثالث للّغة العربية "- دبي – أيار 2014

بحث **الدكتور : انطوان ج. عبده**

أستاذ في: الجامعة اللبنانية الأميركية – بيروت, بيبلوس – لبنان

عنوان البحث : **من الإشتقاق الأساسي الى " الإشتقاق الخاص "**

- تحديد أنواعه و دوره وتصحيح قواعده " -

(وجمعه في دراسة تسهّل تصنيفه وتعليمه واستخراج المصطلحات العلمية والحضارية) .

موجز و مدخل

الإشتقاق سمة العربية الأساسية في تكوين ألفاظها من الأفعال الثلاثية (وغيرها قليلا)، على خطّي المزيدات الفعلية وتوليد الأسماء والصفات، وفق أصول وموازين معيّنة. ويرفد هذه الثروة اللغوية الكبيرة رصيد من الألفاظ " الجامدة " و "الدخيل " ... تستكمل به صناعة المعجم العربي. لكنّ واقع العربيّة وتاريخ تطوّرها يظهران كذلك ان هناك ما نطلق عليه مصطلح "الإشتقاق الخاص" – وهو محدود بالنسبة الى " الاشتقاق العام " – لكنه معروف ولم يلق الا التفاتات أبقت قواعده مشتّتة وتحتاج الى إعادة نظر، بل حتى الى استكمال استخراج أنواعه وقواعد تعامله الأساسية مع ألفاظ اللغة، وطرق توليده من الجامد والدخيل، وحتى من الحروف والتراكيب الجملية (كالبسملة)...

وقد اشتقوا بهذه الجهود أفعالا وأسماء وصفات ومصادر... بطرق مختلفة وذات خصوصية تتجاوز إجمالا المعروف الشائع في الاشتقاق العام . وحاولوا كل مرة تعريبه (بتقريبه من اللسان العربي)، وتطويعه بإخضاعه ما أمكن، لوزان العربية " الصوتي " إن لم يكن المطابق .. و كذلك باللجوء الى "النحت "، الذي عرفته العربية بشكل محدود، دون استخراج قواعد عمله الأساسية. والعربية لم تكن لتترك كل هذه العمليات دون حدّ أدنى من التقعيد. وما يقال في ذلك يقال أيضا في مسألتي " التصغير" و " النسبة " اذ كادوا في دراستهما أن يجعلوا لكل زمرة صغيرة، بل لكل لفظة منهما أحيانا، قاعدة. فلا بدّ من اعادة النظر في نظامهما الاشتقاقي في إطار هذا الجهد الذي يحاول أن يعتمد معايير البحث الألسنية المتجدّدة ويعمل " داخل اللغة " ذاتها على تحديد المعتمدات والعمليات التي تلجأ اليها لاستخراج القواعد المطّردة التي تفضي الى رؤية التنظيم المتجانس في سعيها المنهجي الى الشمولية والانسجام والاقتصاد ... ولو في إطار "الخصوصية والشذوذ اللغوي" أحيانا.

وغنيّ عن البيان ان هذه الجهود المنهجيّة أساسية من أجل خدمة العربية وتسهيل عملية التعليم وبناء المعاجم والإفادة من القواعد الصحيحة الممكنة لتشقيق المصطلحات العلميّة والحضاريّة بشكل أفضل.

م أ: الإشتقاق العام، الإشتقاق الخاص، التصغير،النسبة،النحت، استخراج القواعد، تسهيل التدريس.

اولا: في الإشتقاقات الخاصة الفعلية والإسمية : (1)

ونبدأ بمراجعة " زمرة المصادر" . ونسجّل من ذلك الملاحظات التالية :

1- في درس " اسم المصدر " كما يسمونه، نرى انه مصطلح من الإشتقاق الخاص يشار به الى الأسماء التي تدل على معنى المصدر ولكنها تخالفه في عدم جريانها على الفعل نفسه، كقولك " الصلح" مكان المصالحة (مصدر الفعل صالح) "والكلام " مكان التكلّم (المصدر الصحيح للفعل تكلّم) و"الردّة "مكان الارتداد (مصدر ارتدّ) ...(2)

وليس يسيرا الوصول الى رأي قاطع في أصله . لكن السماع الكثير في الثلاثي يدلّنا على أن"الإقتصاد " و"الإستحسان و"الخفّة " يمكن ان تقود الى المواضعة " والتخفيف الفونولوجي"، دون تكلّف. فالعطاء أبسط من الإعطاء (مصدر أعطى)، والكلام أخفّ من التكلّم، والصلح من المصالحة..فكأن كثرة الحاجة الى استخدام بعض المصادر (وما ذكرناه هنا نماذج منها) يمكن أن يدعو الى إشتقاق خاص يجدون فيه إقتصادا وخفّة في مجراه على الألسنة.

2- وقد يعدّلون بإستخدام المصدر أحيانا فيتوجّهون به نحو دلالة نحوية أخرى، كاستخدامه بمعنى إسم الفاعل في قولهم: رجل عدل: أي عادل. وماء غور: أي غائر. وكاستخدامه بمعنى إسم المفعول أحيانا في قولهم: ذاك خلق الله: أي مخلوقه. وهذا الدينار ضرب الأمير: أي مضروبه...

3- وفي باب الحديث عن زمرة المصادر نلاحظ كذلك خصوصية طريفة في تحقيق نوع من الاشتقاق الخاص لا يتحقق بتعديل لفظي معيّن فقط – بل "باضافة خارجية " تحقق دلالته". ومن ذلك ما نشير اليه في باب "إسم المرّة أو مصدر المرّة ": فالقاعدة تقول إنه يقصد به الدلالة على معنى المصدر ووقوعه مرة واحدة، نحو : جمعت جَمعة وسجدت سَجدة. ولكن اذا كان مصدره الاساسي :فَعلة (بفتح الفاء، مثل رَحمته رَحمة) فيدل على المرّة "بقرينة " فنقول : رَحمته رَحمة عظيمة، ودعوته دَعوة واحدة .. وهذه القرينة أساسية اذا في تحقيق هذا الاشتقاق الخاص .

ومما يشبه ذلك ايضا أن تتحقّق دلالة الاشتقاق الخاص في استخراج " اسم النوع أو مصدر النوع": فهو يكون على وزن: فِعلة (بكسر الفاء) من الثلاثي، لكن اذا كان مصدر الثلاثي أصلا على وزن فِعلة (بكسر الفاء) فندلّ على الهيئة " بقرينة أو وصف"، نحو : نشد نِشدة (بكسر النون) حسنة. (3)

4- ويصاغ اسم المرّة من غير الثلاثي بإضافة تاء الى مصدره، اذا خلا المصدر منها، والآ " فبإضافة وصف اليه" كما يجري مع الثلاثي، فنقول : إنطلق إنطلاقة سريعة، وأقام إقامة طويلة ... وهذه الاضافة المعنوية ضرورية كما نرى لتحقيق هذا الاشتقاق. ويقال مثل هذا في استخراج اسم النوع بإضافة القرينة كأن نقول: إنطلق انطلاقة الغزال.

5- وهناك اشتقاق خاص يدعوه سيبويه "إسم الجنس" يفرّق بينه وبين واحده بالتاء، فتقول تمرة من تمر، وزيتونة من زيتون (4) ... وشأن هذا شأن اسم المرّة فبهذه الإضافة نعيّن الواحد ونفصله عن المجموع.

6- هذا ونجد في باب إسم المكان والزمان دورا لظاهرة طريفة أخرى في تحقيق الاشتقاق الخاص، هي ما سمّاه اللغويون " الخفّة". فمن المعروف ان اسم المكان والزمان صيغة تدل على زمان وقوع الفعل و(او) مكانه. وتُبنى من الثلاثي على وزن – مَفعَل (بفتح العين) اذا كان الفعل مفتوح العين أو مضمومها في المضارع (نحو مَشرَب ومَذهَب) وتبنى على وزن (مَفعِل) – بكسر العين – اذا كان الفعل مكسور العين في المضارع أو كان مثالا واويا، شرط صحة آخره في الحالتين. أما المثال اليائي فيصاغ منه على – مَفعَل – (بفتح العين) "اذ يعتبر بمنزلة الصحيح عندهم " لخفّته "(5) والخفّة هي بمعنى الاستساغة والجري على فصاحة التركيب وعدم التنافر الصوتي أو الأصولي مما يبدو مستساغا في توليد بنى معيّنة من أفعال معيّنة تستثقل من غيرها ...

7-وأضيف اليه قول سيبويه: " اذا أردت أن تكثر الشيء بالمكان فذلك قولك: أرض مسبعة ومأسدة ومذأبة، وليس في كل شيء، الآ أن تقيس شيئا وتعلم أن العرب لم تكلّم به، ولم يجيئوا بنظير هذا فيما جاوز ثلاثة أحرف. وانما اختصوا بها بنات الثلاثة لخفّتها لأن ما جاوز الثلاثة يكون نظير – المفعل – منه بمنزلة المفعول، وقالوا : ارض مثعلبة ومعقربة." (6) ونستشف من قول سيبويه أن تجاوز القياس المعروف – وهو في الثلاثي – الى ما يستخف من غيره، ليس ممتنعا. فهذا ليس تدميرا للقياس نفسه ولكنه فتح لإمكانية الأخذ على سبيل الاشتقاق بمقياس مشابه مستساغ ومعقول . وما يزال سيبويه في كثير مما جاء به من آراء جريئة يظهر حسًا ألسنيا متطورا بالنسبة الى عصره.

8- وقد ابتكروا من اسم المكان والزمان ألفاظا أخرى بزيادة التاء، وأشهرها: المدرسة – والمشرقة – والمشتاة(مشتى). ولا تنجو صيغة اسم المكان والزمان من وقوع الشوارد وأثر اللهجات، فبعضها ذكرت فيه ثلاثة وجوه مثلا :كمشرقة، ومقبرة، ومهلكة.

9-أما في باب الأسماء والصفات المشتقة فنتوقف اولا عند ما يفيدنا به درس اسم الفاعل . ومعروف انه من الثلاثي على وزن – فاعل – لكنه مع ذلك ليس "مطلقا" بالرغم من قياسية الصيغة وخفّتها. وهو يكثر في الأفعال المتعدية ويقلّ في اللازمة مثلا. وترى سيبويه (7) يجمع في بحوثه بين درس اسم الفاعل والصفات المشتقة الممكنة الأخرى. والحسّ اللغوي الدفين هو الذي يحوّل الفعل نحو صيغ أخرى. ومن ذلك مثلا ما يذكره سيبويه من أوزان يشيراليها كصيغ تدلّ على اسم الفاعل ومنها: فَعِل مثل فَرِح. وفَعْلان (فتحة سكون) مثل عَطْشان وسَكْران. وأفعل التي تدل على الألوان والصفات الخاصة، مثل:
أحمر،أجهر... وفعال: بفتح الفاء أوضمّها، مثل: جَبان أو شُجاع... وقد اعتمدوا على وزن – فاعل – كذلك لاشتقاق ألفاظ من الأسماء الجامدة لمعنى الفاعلية، وإن بصورة مخصوصة ، كما في: الحاذي، والنابل والناشب واللاحم. أو لمعنى نسبة انسان الى عمل أو شيء: كالتامر والفارس. ويشتقون على هذا الوزان من الأعداد التراتبية فيقال: الثاني والثالث والرابع... الخ

10- اما اسم المفعول فيرى سيبويه انه يصاغ من الفعل المجهول وتقوى حجّته بما يذكره العرب – ويؤكّده اللغويون (8) من أخذ اسم المفعول من أفعال هي في الأصل على صيغة – فُعِلَ – (صيغة المجهول نفسها) وان كانت في الأصل مما لم يستخدم للدلالة على المجهول ومن هذا الباب يذكر : " وذلك نحو جُنّ وسُلّ وزُكم، وعلى هذا قالوا : مجنون ومسلول ومزكوم ومحموم وموروود... فإذا قالوا جُنّ وسُلّ فإنما يقولون جعل فيه الجنون والسل كما قالوا حُزنَ(ضمة وكسرة)" ويعني على معنى اللزوم والحدوث الذاتي في أحوال النفس والبدن. لكن الاسم المفعول يبنى عادة من الأفعال المتعدّية لأن معنى المفعولية

يستوجب التعدية. واذا أريد بناؤه من اللازم عُدّي بوسائل التعدية الأخرى كحروف الجر، او الظرف فتقول: هذا مسموع عنده، وهو معتوب عليه. فالقرائن (والسياق) هي التي تزيل الإبهام وتسمح بتحقيق صحة المعنى الاشتقاقي الخاص هنا. وقد يقع اشتقاق خاص على اسم المفعول فيبنى معناه على فعول مثلا (ومنه رسول وسلوب) وقد يأتي اسم الفاعل والمفعول بمعنى واحد في حالات نادرة. ومنها قولك : مكان عامر ومعمور، ومنزل آهل ومأهول.

11- وفي باب الصفات المشبّهة : نبدأ بالقول بأن هذه الصفات هي الصيغ التي "تنوب عن اسم الفاعل في الأفعال اللازمة ". وتراجعها فترى أن بعض ما يظهر منها في هذا الباب، يظهر في باب "صفات المبالغة" أحيانا (9) فكأنها جهود خاصة حسنة في تلبية حاجات المتكلمين. ويشترطون لها – في الثلاثي وغيره – صفة الثبات في الموصوف. لكن يؤخذ من الأمثلة التي ذكرها سيبويه والأشموني وابن عقيل كمستقيم الحال ومعتدل القامة ومنطلق اللسان، انها تأتي مما فوق الثلاثي على وزن اسم الفاعل شرط أن تدّل على الثبوت. ونلاحظ انهم يعنون به واقعيا وجود القرينة أو الإضافة اللفظية. ونرى أن الصيغة التي تحتاج الى قرائن اضافية مماثلة لتثبت على أصالة صيغتها الإشتقاقية هي أضعف من غيرها في ميزان اصالة الأشتقاق. فالصيغة الإشتقاقية الكاملة هي التي تقرن دلالة الصيغة بدلالة المادة دون اللجوء الى معتمدات خارجية . لكن ذلك ليس خطأ، ولا مرفوضا. فاللفظة المعزولة أمرإفتراضي في اللغة، و المقصود عندئذ هو دراستها وتمحيص بنيتها.

ولعلّ كثرة ما تجده من أوزان الصفة المشبّهة ينمّ عن قدم الكثير منها . وهذا القدم قد يحمل المرء على التساؤل عما اذا كانت جميع هذه الصفات قد اشتقت حقا من أفعالها. وأكبر الظن انّ كثيرا من هذه الصفات أصول اشتقت منها أفعالها من طريق الاشتقاق الخاص للافعال من الاسماء، فأبيض وأسود وأحمر وطويل وقصير وثقيل وخفيف مثلا لا بدّ من أن تكون قد سبقت إسودّ أبيضّ إحمرّ وطال وقصر وثقل وخفّ، و ذلك لأنها أقرب منها الى الحيّز المادي.

وقد أفادوا من أوزان المبالغة هذه اشتقاقات لغوية أخرى فقد اشتقوا على وزن فَعّالة كما هو معروف أسماء للآلات (كالغسّالة والدبّابة والجزّازة ...الخ) كما اشتقوا على وزن –فَعّال– ألفاظا تدل على مستخدمي الآلات واصحاب الصنائع والحرف، ولنسبة ذلك اليهم، فقالوا هذا حدّاد او نجّار أوسيّاف أو عسّال او حمّال ...الخ. وقد أقرّ مجمع اللغة العربية هذه الاشتقاقات الخاصة (10) وقال في هذه انه يقرّها قياسا للدلالة على الاحتراف او ملازمة الشيء فاذا خيف لبس بين صانع الشيء وملازمه، كانت صيغة فعّال للصانع وكان النسب بالياء لغيره، فيقال: زَجّاج، لصانع الزُجاج، وزَجّاجي لبائعه.

12- ولا نغفل شيوع الأوزان والصيغ للدلالة القياسية على معان صارت ملازمة لها، وقد استخدمها العرب هكذا على سبيل التوسّع أو ابتكروها بالاعتماد على الأوزان القديمة . ومن ذلك استخدام وزن – فِعالة (بكسر الفاء) – من الثلاثي – للدلالة على الحرف والصناعات وما يشبهها، كالحِياكة والتِجارة والصِناعة والسِفارة والصِحافة ...الخ. وقد اقّره المجمع بقراره التالي " يصاغ للدلالة على الحرفة أو شبهها من أي باب من أبواب الثلاثي مصدر على وزن فِعالة (بكسر الفاء)(11)

13- وهناك صيغ اشتقاقية خاصة كثيرة ظهرت فيها دلالات خاصة ، ليست بالضرورة دلالاتها الأساسية، وشاعت فيها هذه الدلالات من الاستخدام تلبية للحاجات فأقرّها السماع والطبع اللغوي، وكرّست المجامع اللغوية ذلك من بعد، ومنها وزن – فَعَلان – للدلالة على التحرّك والاضطراب ، ووزن

– فُعالة – للدلالة على الفضلات (كالقُلامة والنُحاتة والقُمامة) أو- فُعال كذلك (بضم الفاء كالُرفات والحُطام)...

وقد أقرّ المجمع كذلك أن " يقاس من – فَعَل – اللازم المفتوح العين مصدرعلى وزن فُعال (بضم الفاء) للدلالة على المرض (12) ومن أمثلته: السعال والزكام... كما اقرّ جواز " أن يصاغ قياسا مصدر على وزن فُعال (بضم الفاء) أو فعيل (13) للدلالة على الصوت ومنه المُواء والعواء والصهيل والزئير والضجيج ...

ونلاحظ من خلال ما أوردناه من أمثلة، ان الحاجة قد دفعت مستخدمي اللغة الى توسيع دلالة بعض الصيغ، كأن هذا التوسّع نوع من الاشتقاق العمودي الخاص. لكنّ الحاجة الى الدلالات الخاصة ، تعتمد غالبا تطويرالصيغة تطويرا فونولوجيا (14). وقد طورّوا فعول الى فاعول. وهو يشبهه في كونه يعني اسم الفاعل أحيانا (وغالبًا)، واسم المفعول احيانا أخرى . ولعله تكوّن بتأثير سامي، لأنه يشبه صيغة اسم المفعول في الساميّات. ومن أمثلته: الفاروق والحاذور والناطور والجاروف والجاسوس ...الخ.

14- وفي باب أفعل التفضيل نكتفي بأن نلفت النظر الى ان اشتقاقه للمفاضلة من الثلاثي على وزن أفعل معروف بصيغته وشروطه. لكن الإجتهاد الاشتقاقي قد أخذه كذلك قديما وحديثا، من الجامد فقيل: "ما في البادية أنوأ منه " وهذا"أحنك البعيرين" أي اكثرهما استخداما لحنكيه في الأكل. وهو"ألصّ من ..."الخ. ومثل هذا تستخرجه العامة في بعض المواقف الساخرة. ونعرف منه باشتقاق خاص يعتمد على الاقتصاد والخفة، لفظتي: خير وشرّ، وقد حذفت منهما الهمزة بسبب الشيوع (فأصله أخير وأشرّ).

15- وقد اشتقّت العرب قديما وحديثا أسماء للآلات على أوزان معيّنة مشهورة ومنها المفتاح والمنشار، والمِطرقة والمِروحة والمِثقب (بكسر الميم). وقد اقرّها مجمع اللغة العربية في ذلك (15) كما اقرّ وزن فَعَّالة (غَسّالة – نَشّافة – طَيّارة – دَبّابة) كوزن حديث طاغ اليوم (16). لكن المستخدمين قد ابتكروا من الأسماء الجامدة كذلك فقالوا : محبرة ومقلمة

16-المصدر الصناعي:

وقد أوجد أهل اللغة كذلك موازين جديدة أحيانا، بالاعتماد على الموازين القديمة، لاشتقاق ألفاظ تفي بحاجات الاستخدام المادي والحضاري والفكري، كابتكارهم لما يسمّى المصدر الصناعي. وهو مصدر مجازا، لأنه لا يدلّ على حدث وانما يحدد النسبة مع كونه اسما لمعنى. ويكون بأن تضيف ياء النسبة وتاء النقل (لنقلها الاسم من الوصفية الى الاسمية) الى اللفظة المعنية بالاشتقاق فتأخذ منها اللفظة الجديدة مثل : المسؤولية (من مسؤول) والفاعلية والحزبية ... واكثر ما يدلّ على المذاهب: كالأشعرية، أو على الفلسفات: كالانهزامية والسوفسطائية والاشراقية... وقد يؤخذ من ألفاظ دخيلة للدلالة على ذلك تطبيقا لروح القياس فتقول:المانوية والهندوسية ... الخ. ويذكّرنا هذا بما استخرجوه في زمان العلم والمصطلحات والاشتغال بالفلسفة من صيغة "فعلاني" للنسبة الى المذاهب أو بناء مصطلحات الفكر ومن امثلته : ربّاني، ونوراني، وروحاني ... بزيادة الكاسعة (آني) على اللفظة .

17- وقد يذكر القدامى الاشتقاق الخاص من الأسماء (اشتقاق الأفعال من الجَواهر) كما يسمّونه. اكنهم لا يتوقّفون عنده طويلا. ومن ذلك ما أورده السيوطي في المزهر، فقال : "اشتقاق العرب من الجواهر قليل جدا، ومن ذلك قولهم: استحجر الطين واستنوق الجمل " ...(17) لكنّ هذا لا يكفي للدلالة على هذا

الاشتقاق الخاص، ولا بدّ من ان يستكمل الدارس هذه الحقائق اللغوية والاشارة الى ما يمكن من قواعدها، تأسيسا لكل توسّع مطلوب لتسهيل التدريس والتصنيف المعجمي . ونقول استكمالا وأولا ان هذا الاشتقاق يعتمد هنا على الافادة من الوزن السداسي القياسي " استفعل ". لكن لا بدّ من الاشارة كذلك الى ما يأتيك به وزن " افعوعل "(وهو مصنوع وغير دقيق كما نرى) فنأخذ به من الجامد كذلك مثل: اعشوشب المكان (من العشب) واحقوقف الهلال (صار احقف منحنيا) وأغدودن النبت (صار ذا خضرة قاتمة) ... ونشتق على "فَعَّل" كذلك أمثال : مَلّح وزَهّر و رَوّض وغَرّب وسَحّر وطَرّز وكَسّم ...

ونبني من الثلاثي أفعالا رباعية على غير القياس الاشتقاقي المعروف (المزيدات) مثل : زمجر (من زجر) وبركل (من ركل) وبلطح (من بطح) وشقلب (من قلب) بفك ادغام " فَعّل " عموما والابدال بحرف بطريقة غير قياسية ... وقد درسنا مثل هذه الرباعيات في بحث آخر (18). وقد نشتق من الثنائيات المثلّثة بالشد ، بفك الشد "والابدال"، ومنه : كدّ وكدح – ومنّ ومنح – وقطّ وقطع وقطف وقطم ...(وهي تحمل بعض التعديل في المعاني، فقطع للاشجار وقطف للثمر ... وهكذا). ولا بدّ من ان نذكر هنا كذلك اننا نشتق من الدخيل افعالا كثيرة – خصوصا في العصر الحديث – وقد اعتمدوا فيه، اجمالا، وزن: فعلل (والأصح فعلن) ومنه : كهرب، وبستر، ومغنط، وهدرج، الخ... وعرفنا قديما :أبلس- وشيطن... ونتذكّر كذلك أن اللغة قد اشتقت أفعالا حتى من الحروف مثل " وأوأ" (في تكرار الواو) "وفأفأ" (في تكرار الفاء).

18- وقد ابتكروا الفاظا رباعية (وغير رباعية)كذلك بزيادات غير قياسية : أي – اما بغير حروف الزيادة المطّردة (حروف سألتمونيها) فيزيدون الباء او الجيم ... مثلا – أو بزيادة تلك في غير المواضع المعروفة لها في الموازين الصحيحة في الاشتقاق العام. ومن ذلك زيادة النون كما في رعشن (وهي للشديد الارتعاش). كذلك زيادة الواو والنون التي تفيد التصغير كما في: زيدون وسعدون. وابتكار الفاظ أخرى بزيادة الواو والميم كما في: حلقوم وبلعوم ... ونرى ان أكثر الرباعي الذي يقال المجرّد (أي ما ليس على الأوزان الاشتقاقية المعروفة) انما جاء من فك الادغام والابدال بحرف مثل: درّج : دحرج -. أو بالاشتقاق من الأسماء العربية أو المعرّبة بسبب الحاجة ، مثل: كهرب من الكهرباء وسخمن من السخام ، وتربن من التراب الخ (19)... أو بأخذه من المنحوت – على قلّته – (كما سنرى في بابه) ومنه : بسمل وحمدل . ونأخذ الرباعي كذلك باشتقاق خاص من الثنائيات التي تثلّث بالتضعيف مثل عنّ وخصّ فنشتق هذا الرباعي بتكرار الجذر ونقول: عنعن وخصخص (وميزانه الصحيح فعفع) .

التفتنا في هذا القسم الى نماذج وأمثلة أساسية لبيان المقصود بالاشتقاق الخاص. ولا بدّ من أن نكتفي من هذه بما اوردناه مع الدعوة الى متابعته بتفاصيل أوفى في مواضع الدراسات الأكثر توسعا. ونحن نودّ استكمال بعض الجوانب الأخرى لموضوع الاشتقاق الخاص للفت النظر اليها ولنحاول تصحيح بناء قواعدها والدعوة كذلك الى متابعتها ما أمكن ، فلا تتركز الدروس على الشائع المشهور .

وهذه القضايا هي التصغير والنسبة والنحت.

ثانيا- التصغير

وهو مظهر نموذجي حسن من الاشتقاق الخاص يعتمد إحداث تعديل صوتي معيّن في بنية اسم أو صفة لاستخراج دلالة خاصة معدّلة تقوم على: التقليل (درهم: دُريهم)، او التحقير (رجل: رجيل) أو التحبب

(ابن: بنيّ) وكتب اللغة تذكر عددا من القواعد التي يقولون انها تتحكّم باستخراج هذه الألفاظ وتقوم أغلبية هذه القواعد على ملاحظة " قلب" حروف العلّة. لكننا وجدنا ان إيجازها لاستخراج قاعدة أساسية جامعة تسهّل تصنيفها ودرسها أمر ممكن، مع بعض الايضاحات التي ترافق كل قاعدة في العربية أصلا. ونرى أن الملاحظة البنيانية تجعلنا نستخرج قاعدة التصغير الأساسية الصحيحة وفق القياس التالي:

يصاغ التصغير بأن تعتمد الحرفين الأولين من اللفظة وتبني بهما صيغة (فُعَيّ) (بضم الفاء وفتح العين). ويبقى القسم الباقي بدون تعديل. ومن ذلك: رجل : رجيل – وفتى : فتي – وأب : أبي – وابن : بنيّ – وباب :بويب ومهرة :مهيرة ...الخ

واذا كان ثانيه ألفا تقلب واواً (كاتب: كويتب ، وجامع: جويمع) أما الخماسي الذي يسبق آخره حرف علّة مثل : عصفور- مفتاح – ابريق...فيوضع على "فعيليل" مثل عُصيفير، ومُفيتيح، وأُبيريق...الخ. وليس المقصود على كل حال قهر كل لفظة على التصغير وانما ان نستخرجه عند توفر الحاجة و"الخفّة " وحسن الاشتقاق.

ثالثا- النسبة

تعريفا، هي كما نرى: نوع من الإشتقاق الخاص يعتمد أن نلحق بآخر الاسم ياء مشدّدة لاشتقاق صفة وللدلالة على نسبة شيء اليه. وننسب " الى اللفظ المجرّد والمفرد " لكن النسبة الى الجمع لم تعد مرفوضة عند الحاجة التي تجمع بين الضرورة والخفّة والإمكان اللغوي. ومن أمثلتها: عالم: عالميّ- وانسان:انساني... ولبنانيّ وعربيّ وقوميّ وأوروبي...
ونعرف في النسبة الشائعة المستساغة من الجمع: عمّال:عمّالي، ألسن:ألسني، عقائد:عقائدي، مناطق : مناطقي، طلاّب: طلاّبي، دُول :دُولي و مُدن:مُدني (بضم الميم في مثل قولنا : التنظيم المُدنيّ) . وقد تكثر في النسبة الى العقائد وما يشبهها فيقال: رأسماليّ ووجوديّ وفلسفيّ و رومنطيقي وسريالي. ومن " تراكم " قواعدها في كتب اللغة، وجدنا اننا نستطيع أن نخرج بالمستساغ المطلوب منها بالقواعد الجامعة المبسّطة التالية (خصوصا حين تختم اللفظة بأحد حروف العلّة):

- تقلب همزة التأنيث واواً فنقول: بيضاء : بيضاوي – وسماء: سماوي. كذلك تقلب الياء واواً في مثل: حيّ: حَيَوي، نبّي: نَبَوي (بفتح ثانيه). ومثلها الألف المقصورة في مثل: فتى : فَتَويّ ، ومعنى: معنويّ. ونجعل التاء واواً كذلك في مثل : لغة : لغويّ ، سنة : سنويّ ونهضة : نهضوي. ونمنح الواو (قبل الياء) لما ننسب اليه من ذي الحرفين فنقول : أب: ابويّ ، أخ: أخويّ ودم: دمويّ.
- ويكاد التعويض بالواو ان يكون قاعدة جامعة كما نرى.

وقد يغلّب الإستخدام حركة أخرى في بعض الألفاظ (على سبيل الشذوذ) فيحفظ كما هو. ومنه أَموي (بفتح الهمزة بدلا من الاحتفاظ بضمّها) ومَدني: نسبة الى المدينة (بفتح الميم) ... لكن الأقدمين عرفوا النسبة بالعبارة أحيانا كثيرة حين فرضت ذلك الخفّة والفصاحة فقيل هو : تغلبي وتميمي...كذلك انه: من بني عذرة. وهذه القاعدة تكاد تطبّق بصورة بسيطة وطبيعية عند بناء النسبة في الاستخدام الحديث للّغة. لكنك تقرأ " تاريخ " قاعدة النسبة في كتب اللغة ، فتجد انها كانت قاعدة استنسابية فعلا. ان القاعدة الحقيقية مقياس شذوذه قليل. لكن الناظر في كتب اللغة يرى انها تذكر بعد " القاعدة الأساسية " ، أكثر من ثلاثين

قاعدة خاصة وفرعية. ولعل كثرة الشذوذ في عمليات النسبة القديمة تعود الى تعدّد اللهجات والاختلافات بين القبائل ، والروايات والاختراع، مما اثّر في اضطراب وضعها كما أثّر في وضع الكثير غيرها، اذ حصل فيها ما حصل لبنى ألفاظ كثيرة تمجّها العربية. والمحدثون الذين تطبّعوا بالفصحى الواحدة ، صاروا أكثر ميلا الى الانسجام والقياس والقواعد والتنظيم في بناء النسبة ، و أكثر تطبيقا للقاعدة البسيطة المعروفة دون كبير ميل الى تغيير هيئة البنية. وهم يبنون النسبة الى الجمع مثلا حين تقتضي ضرورة التخصيص، أو ينسبون بالعبارة والاضافة. لذا يمكن أن تحتفظ المعاجم – التاريخية خصوصا- ببنى النسبة القديمة ، المحفوظة في الكتب، اجمالاً. وأكثرها يعود الى أماكن وقبائل وجماعات صارت من التاريخ ، ولم تعد هذه الالفاظ من النسبة قيد الاستخدام . أما المعروف المستمر في الحياة اللغوية فيحفظ كما هو ، ذلك انّ " السماعي" كثير في أبواب اللغة المختلفة.

ونرى ان النسبة، وان كانت قياسية نظريا، فهي ككل توليد تقع اجمالا في حالات مخصوصة كما في النسبة الى المشاهير والأماكن والعقائد ... وفي مواضع أخرى تدفع اليها الحاجة ، وليست احتياجا ضروريا في كل لفظ حتى يقسر هذا اللفظ على توليد النسبة دون ضرورة, كأنها نوع من الرياضة اللغوية. ان حاجات الاستخدام هي التي تولّد النسبة في مواضعها ، مع أخذ الفصاحة والخفّة بعين الاعتبار، وقد تكون النسبة بالعبارة هي الأفصح أحيانا حين يقتضي الأمر ذلك ، بدلا من قهر اللغة على تركيب لفظي لا تحتمله.

رابعا- النحت:

النحت هو أن ننتزع من كلمتين أو تعبير كلمة جديدة لا تدلّ على مفهوم جديد بالمعنى الكامل ، وانما على دلالة خاصة من المعنى، في نوع من الاشتقاق الخاص.

وقد اختلف اللغويّون القدامى والمحدثون في تقدير اهميته أو في نسبته الى الاشتقاق(20). وصنّف اللغويون انواع النحت والطرق التي يرون أن العربية تلجأ اليها في اشتقاقه (21) فهي عديدة وابرزها:

ألا يعتري الكلمتين أي تغيير فان واحدتهما تلتصق بالأخرى كما في (اللاأدرية). ان تبقى احدى الكلمتين كما هي وتختزل الأخرى وحدها كما في (مشلوز – وهي من مشمش ولوز) ومحبرم (من حب الرمان). ان يحدث اختزال في الكلمتين ويكون هذا الاختزال متساويا في كلتيهما مثل : تعبشم. ان يحدث اختزال في الكلمتين ولكنه لا يكون متساويا في كلتيهما كما في: سبحل.

- ونستعرض الان هذه الأفكار والآراء والمعلومات بالتحليل والمناقشة لنستخلص منها ما نراه من حقائق نظرية متّصلة بموضوع النحت وقواعد بنائه:

عرف النحت أصلا في ألفاظ قديمة استخدمت في الأنساب الجاهلية ، مثل : عبد شمس (عبشمي) وعبد قيس (عبقسي) وبلحارث (بنو الحارث). ثم عُرف في صدر الاسلام في نوع من الاختصار والرمز لبعض التعابير الاسلامية مثل الحمد له (الحمد للّه) والبسملة (بسم الله) .

- وقد اعتمدوا النحت نادرا، في العصر الحديث خصوصا لاخراج بعض الألفاظ المركّبة كمصطلحات فكرية (زمكاني) أو علمية (انفمي) . والمعروف منها يعتمد اجمالا على ألفاظ قصيرة مثل(بر+ماء+ي) و(انف+فم+ي) = برمائي وأنفمي.. وقد ورثت العربية بعض اسماء الأعلام المركبة القديمة مثل : بيت

لحم وبعلبك. أما ما ذهب اليه بعض اللغويين من المزج بين النحت و"الإلصاقية " أو التركيب اللفظي في اللغة العربية فيستدعي توقّفا خاصا. لقد ظهرت بعض التعابير والألفاظ التي توحي بنوع من "الالصاقية " والتركيب في اللغة العربية خصوصا في بعض الأدوات وأسماء الاشارة والضمائر مثل: كأنما (كأن-ما) (مالي= ما+لي) واللاأدرية (لا+أدري+ة). لكن الاعتماد على مثل هذه الألفاظ للقول بأن العربية تعرف توليد الألفاظ "بالصاق وتركيب" على طريقة اللغات الغربية – هو تجاوز للواقع فاللغات الغربية (المتحدرة من اللاتينية مثلا) تؤلف الكثير من ألفاظها ومصطلحاتها العلمية من وصلات وكسوع ، كل جزء منها مفردة كاملة ، لأن هذا النوع من التركيب تحتفظ فيه الأجزاء اجمالا ببناها الأساسية في عملية جمع والصاق تتم بين لفظتين أو أكثر، وتلحقها الكواسع وغيرها بصورة طبيعية ايضا. وهذه عملية تركيب من نوع خاص ذات افادة دلالية مميّزة . والعربية لا تستخدمها أساسيا. وقد ذهب ابن فارس الى " أن للرباعي والخماسي مذهبا في القياس يستنبطه النظر الدقيق . وذلك ان أكثر ما تراه منه منحوت". ومعنى النحت: "أن تؤخذ كلمتان وتنحت منهما كلمة تكون آخذة منهما جميعا بحظ (22)".

لكن المتفحّص لهذه الألفاظ المذكورة في معجم المقاييس . يرى ان هذه الأفعال (والأسماء) قد تولّدت بالاعتماد على نوع من الزيادة"غير القياسية " على أصول ثلاثية بالابدال وفك الشد اللذين يجريان على بعض الأفعال مثل (بهّس = بهنس، ودرّج :دحرج)(23) فالقول ان اللفظة المنحوتة " آخذة من كل منهما بحظ " ليس استنتاجا كافيا لوضع القواعد.

<u>استخراج قواعد النحت</u>

أ- قاعدة الألفاظ المعروفة في الأنساب القديمة: عبشمي، عبقسي، عبدرى. يؤخذ أول حرفين صحيحين من كل أصل بالتراتب، وتتجاوز الهمزة وحروف العلّة. ويبدو أن هذه هي قاعدة النحت الأوّلية الأكثر شيوعا. وعبشمي هي : عب(عبد) + شم(شمس) +ي النسبة الوصفية هنا. وعبدري هي : عب(عبد)+در(دار)+ي النسبة. وعبقسي هي :عب(عبد) +قس(قيس)+ ي النسبة . وبالتالي فان :مرقسي، هي : مر(امرؤ) +قس (قيس)+ي النسبة.

ب- والأنساب الأخرى مثل بلعنبر وبلحارث وبلهجيم، تعتمد في نحتها القاعدة التالية : تختصر الباء لفظة (بني-بن) وتلصق بالاسم فيتكون لدينا : ب(بني)+العنبر=بلعنبر (والهمزة همزة وصل ساقطة بالأصل هنا) و ب(بني) +الحارث = بلحارث.

ج-أما قاعدة الألفاظ المنحوتة من تعابير ذات صفة دينية: من نوع : بسم الله ،والحمدلله ، وحسبي الله، وتيم الله ، وسبحان الله... فهي : تأخذ الحروف الصامتة الثلاثة المتوالية من الأول وتأخذ اللام وحدها من اسم الجلالة (الله). ويتكوّن لديك :

بسم الله = (ب+س+م) + (ل) = بسمل(لاتدخل ال التعريف)

والحمدلله = (ح+م+د) + (ل) = حمدل (لاتدخل ال التعريف)

وحسبي الله= (ح+س+ب) +(ل) = حسبل

وتيم الله= (ت +ى+م) +(ل) = تيمل (الياء هنا شبه صامتة وليست مصوتة)

وسبحان الله = (س+ب+ح) +(ل)= سبحل

وتضع الحروف في صيغة الرباعي الذي يقال له المجرّد(فعلل- ونفضّل: فعلن) لصياغة الفعل، وتزيد عليه التاء لصياغة الاسم (بسمل = بسملة). والتاء هنا هي الخاصية المميّزة بين الفعل والاسم.

د- قاعدة الألفاظ المعروفة في جملة الدعاء مثل: أطال الله بقاءك وأدام الله عزّك: تعيد الفعل الأول الى حروفه المجرّدة دون الهمزة المضافة وألف المدّ لأنها مصوّت. و لا نكرر اسم الجلالة في مثل هذه التعابير لأنه ثابت فيها جميعا. وتأخذ بحسب القاعدة الأولى الأساسية ، أول حرفين صامتين متواليين من اللفظ الأول ، وأول حرفين صامتين متواليين من اللفظة الواقعة بعد اسم الجلالة . وتجعله في صيغة "الرباعي المجرّد " ويتكوّن لديك طل (أطال) + بق (بقاءك) = طلبق، دم (أدام) + عز(عزّك) = دمعز.

ه- وتطبّق قاعدة أخذ الحرفين الأولين الصامتين المتواليين من كل لفظ من اللفظتين المتعاقبتين لصياغة المنحوت من مثل : حي على... وجعلت فداك. فتقول: حيعل (والياء هنا حرف شبه صامت) وتجعله على صيغة الرباعي. ثم جع (جعلت)+ فد (فداك) = جعفد.

ملاحظة: ولقد أباح مجمع اللغة العربية النحت لتيسير وضع المصطلحات ، عندما "تلجيء اليه الضرورة العلمية " لكنه لم يستخرج قواعد النحت التي اوردناها الآن كأنه يترك ذلك لحسّ التطبّع والسليقة الحسنة...

وقد وضع بعض المصطلحات الكيميائية والطبّية (24) ... ودراسة هذه المصطلحات وجهود المجمعّيين – المشكورة والمقدّرة - تحتاج الى بحث خاص مطوّل لا يتاح لنا الآن. لكنني أود أن أعلّق تعليقا أوليا و"رمزيا " فأقول: ما هو الأفضل والأفصح والأخفّ ان نقول: "الوجمعة" ام وجع المعدة و"الوجعدة " ام وجع الكلوة. ويقال ذلك ايضا في "الصلعدة" وهي لاستئصال المعدة، "والطحللة " لاستئصال الطحال.

خاتمة

وهكذا فإن معرفة القواعد ضرورة أساسية لمعرفة المنحوت الصحيح وللوضع " حين تدعو الحاجة " لكنّ الحسّ اللغوي السليم والتطبّع والذوق واستخراج القواعد الصحيحة هي التي تعين أهل الوضع على ادراك الفصيح الذي يخفّ ويقبل في كل توليد. ونعلم انّ العربية تستسيغ الوضع بالاشتقاق العام القياسي الذي هو أساس توليدها واشتقاقها واخراجها لبناها وغنى معجمها ومفاهيمها. لكن كل رافد آخر، ان صحّ وخفّ، مقبول وان لم يكن جوهريا في ديناميكّيتها المولّدة. انما لايجوز ان يترك درسه واستخراج قواعده ما أمكن فلا نكتفي بالاشارة اليه أو ان نوكل به مبدأ "السماع" تهربا، ولا بدّ من ترشيد العمل المعجمي واستخراج القواعد وتبسيط تعليمها. فباستكمال مثل هذا العمل في"المواضع الصعبة " تكون خدمة العربية.

الهوامش والحواشي

1- نعتمد في مراجعة الدروس والمعلومات الأساسية على بعض الكتب المرجعية مثل:
النحو الوافي : لعباس حسن – والنحو الواضح لعلي الجارم ومصطفى أمين- ودروس النحو للأفغاني – والصرف والنحو للشرتوني ,وعلى القواميس الأساسية.

2- انظر الكتاب : 2\229

3- انظر سيبويه : الكتاب 229/2 – والمخصص لابن سيده 14\158

4- نفسه

5- شرح الشافية , للرضّي : 1\186

6- الكتاب: 2\249

7- الكتاب : 2\214 و219 و 230

8- نفسه : 2\331 – 334 – والمزهر : 2\82 – والخصائص :2\103
ولا نرى في باب صيغ المبالغة الا ما هو استكمال للكلام على الصفات المشبّهة .
ويلفت نظر الدارس عدم الاستقرار في مثل هذه الابواب من الاشتقاق الخاص, فسيبويه والسيوطي يحصرانها بخمسة أوزان . أما ابن خالويه فيقول " إن العرب تبني أسماء المبالغة على اثني عشر بناء..."

9- ترزي , فؤاد : الاشتقاق " ص. 217

10- مجلة المجمع :1\35 و 10\279

11- مجلة المجمع : 1\34 – و206 و207

12- نفسه 1\34

13- نفسه 1\35

14- التدرج الحضاري يطوّر اللغة والناس أفقيا وعموديا , لكن لا يجوز الاعتماد على بضعة أمثلة لتعميم نظرية مهما تكن.وأنظر : الجمهرة : ابن دريد 3\389

15- مجلة المجمع : 1\35 – وابن يعيش : شرح المفصّل 6\116

16- نفسه 10\279 – وبرجستراسر : التطّور النحوي , ص. 6 وما بعدها .

وجرجي زيدان : الفلسفة اللغوية ص.102 و ما بعدها.

17- المزهر 1\35 – و1\460- وهمع الهوامع – 20\219- والصاحبي لابن فارس 1\173

18- انظر : أنطوان عبدو : "دراسة بنيان الرباعي على ضوء مناهج البحث الألسنية"... كتاب " الالسنية المعاصرة " ص.85 وما بعدها – م. الجامعة الاسلامية – ماليزيا. (2011)

19- انظر : أنطوان عبدو : " الأسس المنهجية لدراسة البنى ونظام التوليد اللفظي"... كتاب مؤتمر حوار الحضارات – مصر , جامعة المنيا(2008)

20- سيبويه 2\292 ... والمخصّص لابن سيده 14\155 وما بعدها.

21- الأزهري : شرح التصريح 2\86 – وترزي : الاشتقاق 189.

22- معجم المقاييس : 1\505 – و 1\328

23- حاشية 18 : نفسه

24- راجع مجلة المجمع : 7\158 – و201 – و204 – و:13\66

المصادر والمراجع

- ابن الأنباري: أبو البركات عبدالرحمن محمد، **الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، (ط/3)** – المكتبة التجارية. القاهرة (1955 م).
- ابن جنّي : أبو الفتح عثمان، **الخصائص (3 أجزاء)**، دار الكتب - القاهرة(1952).
- ابن دريد : أبو بكر محمد بن الحسن، **الاشتقاق**، القاهرة 1958 م) **جمهرة اللغة** – حيدر أباد، 1344 هـ.)
- ابن سيدة : أبو الحسن علي بن اسماعيل، **المخصّص**(بولاق – 1317 هـ)
- ابن فارس : أحمد، **الصاحبي في فقه اللغة**، (م. السلفية - القاهرة) **معجم مقاييس اللغة -** (دار إحياء الكتب العربية - القاهرة)

ـ ابن القوطية: أبو بكر محمد بن عمر، **كتاب الأفعال** (تحقيق أ.غويدي ـ ليدن1894م.)

ـ ابن منظور : أبو الفضل محمد بن كرم ، **لسان العرب** (15 جزءاً ـ دار صادر بيروت: 1955 -1956 م.)

ـ الرضيّ الاستراباذي: رضيّ الديـن محمد بن الحسن، **شرح شافية ابن الحـاجب** (م.حجازي، القاهرة 1358 هـ) **شرح كافية ابن الحاجب** (الشركة الصحافية، استنبول 1310).

ـ الأشموني : أبو الحسن علي بن محمد، **شرح الأشموني على ألفيّة ابن مالك ـ** أو منهج السالك ـ مكتبة النهضة، مصر 1955 م.).

_ ترزي : فؤاد : الأ شتقاق – منشورات الجامعة الأميركية ـ بيروت

ـ الثعالبي : أبو منصور عبد الملك بن محمد، **فقه اللغة وسر العربية** (م.الاستقامة، القاهرة).

ـ حجازي : محمود ، **اللغة العربية عبر القرون** (القاهرة 1968 ـ اقرأ ـ).

ـ حسّان : الدكتور تمام، **مناهج البحث في اللغة** (مكتبة الأنجلو ـ القاهرة ـ 1955 م.)

ـ زيدان : جرجي، **الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية** ، دار الهلال ـ القاهرة).

ـ السامرّائي : الدكتور ابراهيم ، **دراسات في اللغة**(بغداد 1961) ، **الفعل...** زمانه وأبنيته (ط/1 بغداد 1966).

ـ سيبويه : أبو بشر عمرو، **الكتاب** ـ بولاق 1316 هـ.)

ـ السيوطي : جلال الدين، **المزهر في علوم اللغة** (دار أحياء الكتب ـ القاهرة)

ـ الصالح : الشيخ الدكتور صبحي، **دراسات في فقه اللغة**(ط/2- 1962-م.الأهلية بيروت).

ـ العلايلي : الشيخ عبدالله ، **مقدّمة لدرس لغة العرب** (المطبعة العصرية ـ القاهرة).

ـ وافي : الدكتور علي عبد الواحد ، **علم اللغة** (ط/3 ـ القاهرة 1950).

يضاف إلى هذه المصادر والمراجع مجموعة من القواميس والمجلات المختصة.

المراجع الأجنبية

- Bloomfield L.**Language** - (New York 1935).
- Chomsky N. –**Syntactic structures.**
- Fleisch P.H – **Traité de Philologie Arabe t.1 et 2**-Beyrouth – imp.Catho.2ème edition.
- Harris Z.H- **Methods in structural linguistics.**
- Jesperson Otto – **Language . its nature development and origin-** (Allen & Unwin- London).
- O'Leary D.L Evans – **Comparative Grammar of the Semitic Languages** –
- (Paul London 1923).
- Sapir Edward – **Le Language** – (Payot –Paris 1967).
- De Saussure F.**Cours de Linguistique Générale** – Paris – Payot – 1971)
- Yushmanov N.-**The structure of the Arabic Language –** (C.A.L Washington D.C. 1961)